

إسرائيل شاحاك:

# الصهيونية شر ولا إمكانية لتطبيع اسرائيل مع وجودها

حاوره: حسن خضر

وصل إسرائيل شاحاك إلى فندق الأميركيان كولوني في القدس قبل الموعد بربع ساعة . وفي اللقاء الثاني بعد أسبوع تأخرت خمس دقائق فوجدته في الانتظار. لا يجاري حرصه على المواعيد سوى ميله المدهش إلى استنفاد الدلالات المحتملة لفكرة ما، كما يليق بمتقف يتمتع بثقافة موسوعية، ونظرة متحيزة إلى الواقع. وبالمقابل، ثمة لا مبالاة واضحة تجاه ما يتصل بالصحة والهندام . فأستاذ الكيمياء العضوية السابق في الجامعة العبرية يبدو معتل الصحة، وقليل الاهتمام بمظهره الخارجي إلى حد كبير.

وعندما تمنيت له عمراً مديداً، تعقيباً على شكواه من مرض السكري، الذي ألحق الضرر بإحدى عينيه، أجاب بعقلانية باردة بأنه لا يريد العمر المديد، فقد عاش على هذه الأرض لمدة ستة وستين عاماً ولا ينتظر سوى القليل من السنوات، التي يأمل إنفاقها في البحث والقراءة، ومواصلة حربه الشخصية ضد الصهيونية.

يشن شاحاك حربه بطريقة غير تقليدية، فهو من محترفي كتابة الرسائل إلى بريد القراء في الصحف العبرية، وهو مترجم محترف، يترجم ما لا تلتقطه أعين المهتمين بالمشهد السياسي والاجتماعي في إسرائيل، ويضعه أمام من يشاء . وأذكر

أن تلك الترجمات التي كانت تصل إلى بيروت بعنوان "أوراق إسرائيل شاحاك"، كانت من أهم مصادر المعرفة المتوفرة لدى عدد من المختصين في الشؤون الإسرائيلية في السبعينات.

إلى جانب الترجمة وكتابة الرسائل، والتقارير ( وهي دراسات موجزة يشعر بضرورة نشرها على نطاق واسع ) ينفق شاحاك ما تبقى من وقت في دراسات أكثر عمقاً وتخصصاً . وفي هذا السياق أصدر كتابه " الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود". وقد ترجمت هذا الكتاب، الذي نشرته "دار سينا للنشر" في القاهرة عام ١٩٩٤ (صدرت منه أكثر من طبعة مزورة في العالم العربي، بلا ذكر لاسم الناشر أو المترجم أو تاريخ النشر). كما أصدر كتاباً بعنوان " أسرار مفضوحة" عن الصناعة العسكرية الإسرائيلية، ودور المؤسسة العسكرية في تسليح الدكتاتوريات في أميركا اللاتينية، إلى جانب النشاط النووي للدولة العبرية. وفي الآونة الأخيرة أصدر كتاباً عن الظاهرة الدينية في المجتمع الإسرائيلي بعنوان "الأصولية اليهودية."

ترأس شاحاك لفترة من الوقت الرابطة الإسرائيلية لحقوق الإنسان، التي يبدو بأنه كان قيادتها وجنودها في آن، كما أصدر في وقت مبكر، قبل ظهور المؤرخين الجدد في إسرائيل، كراساً عن القرى الفلسطينية المدمرة بعد عام ١٩٤٨، وقد صدر الكراس في عام ١٩٧٥ بعنوان «القرى العربية المدمرة»، وضم أسماء ومواقع ٣٨٥ قرية فلسطينية. كما قام إميل توما بجمع عدد من ترجماته في كراس بعنوان "الصهيونية على لسان زعمائها" صدر باللغة العربية في القدس عام ١٩٧٨.

كانت هذه الحقائق حاضرة في الذهن، عندما حضر شاحاك قبل الموعد بربع ساعة في اللقاء الأول، الذي افترضنا بأنه سيستمر لمدة ساعة ونصف الساعة فاستغرق عدة ساعات، الأمر الذي حدث أيضاً في اللقاء الثاني أوائل نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٩٩، في حديقة الأميركيان كولوني القريبة من أسوار المدينة القديمة، حيث أخذنا الحديث إلى وقت متأخر لم يكن في الحساب . وما كان يعينني في المرتين، تمثل في محاولة البحث عن معنى تلك الحرب الشخصية، ومبرراتها الفكرية والأخلاقية.

حاولت استفزازه بوسائل مختلفة، لكنها لم تكن ناجحة أغلب الأحيان، لأننا نقف على أرضية مشتركة، فشاحاك يؤمن بالدولة العلمانية الديمقراطية كحل للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، كما يؤمن بأن كل تحليل للصهيونية لا ينطلق من حقيقة

اعتبارها تجسيدا للشر لا يوصل صاحبه إلى نتائج مفيدة، ويعلن بوضوح أن الوجود الإسرائيلي - اليهودي كان غزواً لفلسطين. وإلى جانب هذا وذاك يرفض تسمية المفاوضات والترتيبات الجارية بين الفلسطينيين والإسرائيليين بالسلام، فهي لا تمثل في نظره أكثر من هدنة مؤقتة، ومحاولة للسيطرة على الفلسطينيين بوسائل جديدة . لذلك كانت مقاربة مفهومه للصهيونية أكثر المداخل جاذبية.

| أفكر بتعريفك الخاص للصهيونية، ربما يصلح بداية للحديث عن الوضع الراهن والتطورات الجارية

|| تعريفي للصهيونية لست أنا من صاغه، فهو مستمد من كتابات الآباء المؤسسين .تقوم الصهيونية على ثلاثة مبادئ:

أولاً، يكره الناس كلهم اليهود، وهي كراهية تختلف من حيث الشكل عن أية أنواع أخرى من كراهية الآخر أو الغريب . فالصهيونية تفترض بأن الفرنسيين أو الألمان يمكن أن يكرهوا بعضهم لبعض الوقت، أما كراهية اليهود فلا تزول ولا تدول . غير اليهود يكرهون اليهود، بسبب طبيعتهم، وبما أن العداء للسامية لن يزول من العالم، وأنه حتى الشعوب التي لم تعرف اليهود في حياتها ستكرههم على الفور إذا احتكت بهم، لذلك يعزل اليهود أنفسهم عن غير اليهود.

ثانياً، أرض إسرائيل تخص اليهود، جميع اليهود، بصفة دائمة وإلى الأبد.  
ثالثاً، على جميع اليهود القدوم إلى أرض إسرائيل، أنا استخدم تعبيراتهم [يقصد الصهاينة] بطبيعة الحال، فتعبير أرض إسرائيل أكبر من مفهوم فلسطين . على اليهود القدوم وإنشاء دولة تخصهم.

| ولكن هل نستطيع النظر، بهذا المعنى، إلى الصهيونية كحركة قومية . يمكنني الاستشهاد بما كتبه بوغز عفرون، وأرجو أن تكون مطلعاً على فرضياته بهذا الصدد، فقد تحدث عن حركتين يهوديتين في أوروبا الشرقية : البوند - الحركة الاشتراكية اليهودية - [حركة راديكالية يهودية أرادت تحقيق الحكم الذاتي لليهود في أوروبا الشرقية، استناداً إلى الوحدة الثقافية القائمة على لغة اليبديش ] والصهيونية . كانت الأخيرة عملية تزيف للمشاعر القومية، لأنها استهدفت نقل جماعة من مكان إلى آخر، بينما كان البوند التعبير الطبيعي عن مشاعر اليهود السياسية وطموحاتهم!

|| أعتقد أن بوغز عفرون يجهل التاريخ اليهودي تماماً، ولا يعرف ما جرى قبل ستين أو سبعين عاماً. فهمه لأوروبا الشرقية، والتاريخ اليهودي زائف وغير

صحيح مطلقاً . والدليل قدوم العديد من اليهود الشرقيين إلى إسرائيل . حدثت عملية استغلال للمشاعر بالتاكيد، لكن تلك المشاعر كانت طبيعية . لهذا السبب كل ما يقوله غير صحيح . الصحيح والواقع، أن عفرون يتجاهل دور الديانة اليهودية، فالمبادئ الثلاثة التي ذكرتها في تعريف الصهيونية هي علمنة الديانة اليهودية . الصحيح أن اليهود، أينما كانوا، كانوا على قناعة، حتى حلول فترة التحديث، بالأشياء الثلاثة التي ذكرتها، الاستثناء الوحيد أنهم أكلوا العودة إلى أرض إسرائيل وإنشاء الدولة إلى التدخل الإلهي، أكلوها لقدوم المخلص، وكانوا على قناعة بأن أرض إسرائيل تخصهم وآمنوا بمجيئهم إليها مع قدوم المخلص .

فما هو التغيير الذي أحدثته الصهيونية؟ لقد حاولت تحقيق ما آمن اليهود به دون وجود الله، دون التدخل الإلهي، حاولت تحقيقه بواسطة جهود اليهود أنفسهم، أو بواسطة الصهاينة على أقل تقدير .

النقطة الثانية بالنسبة لأوروبا الشرقية وحركة البوند الاشتراكية، وأشك بأنها كانت اشتراكية [يعبر شاحاك عن خصومته للماركسية والاشتراكية بشكل دائم وبطرق مختلفة، ويعتبر مشاركة اليهود في كثير من الحركات الاشتراكية، كما ذكر في كتابه عن الديانة اليهودية، نوعاً من خدمة المصلحة اليهودية، بمعنى أن تسمياتهم الأيديولوجية لا تعبر عن دوافعهم الحقيقية] لم تنل حركة البوند تأييد أكثر من عشرين بالمائة من اليهود هناك. لماذا ؟

لأن بقية اليهود كانت متدينة، وبما أنها كذلك فهي ترفض البوند على الفور . فالأغلبية اليهودية ترى في اليهود الذين لا يتكلمون باليديش أخوة لهم . ومن الواضح أن البوند كان حركة تمثل الأقلية، وعفرون مخطئ تماماً، لأنه لا يريد معرفة الماضي اليهودي .

| هل كانت الصهيونية حركة الأغلبية، إذن ؟

|| لم تكن، ولكنها كانت عملية علمنة لكل ما اعتقده اليهود وآمنوا به قبل التحديث . فعندما ظهرت الصهيونية قبل مائة عام كانت حركة تمثل الأقلية، أقلية ضئيلة في الواقع، ورغم ذلك استهوت مشاعر اليهود .

| كيف نستطيع تعريف الشر في الصهيونية، إذن ؟ ما هو الشيء الشرير، إذا كان الأمر كذلك وكانت تعبر عن مشاعر مشتركة لدى اليهود، فقد شهدت العديد من الحركات القومية عملية العلمنة نفسها .

|| لا أعترف بأن الصهيونية حركة قومية، الصهيونية تعبير عن مشاعر اليهود،

لكنها ليست حركة قومية بالمقارنة مع الغالبية العظمى من الحركات القومية على الأقل . فالصهيونية تنطلق من نقطة كراهية واستمرار كراهية غير اليهود لليهود . فلنأخذ القومية الإيطالية على سبيل المثال : هل فكّرت الحركة القومية الإيطالية حتى في طورها الفاشي بأن المكسيكيين يكرهون الإيطاليين، هل فكّروا بأن الصينيين يكرهونهم ؟ الجواب، بالنفي طبعاً . لذلك، المبدأ الأول، مبدأ الكراهية الخالدة الذي تجاهله عفرون يجعل الصهيونية شيئاً شديداً للاختلاف . فهي حركة توليتارية لأنها، خلافاً للحركات القومية، تفترض وجود مسألة تخص العالم برمته . فلا الحركة القومية العربية، ولا الحركة القومية الفلسطينية تفكر، أو حتى تهتم، بالصاق صفات دوغمائية ثابتة باليابانيين، مثلاً . لكن الصهاينة، على غرار الديانة اليهودية، وفي سياق علمنتها يضعون اليابانيين في تلك الخانة . أنت لن تفكر أبداً بأن اليابانيين يكرهون العرب، وما إذا كانت تلك الكراهية مؤقتة أو خالدة، لكن الديانة اليهودية والصهيونية تفعلان ذلك .

| مرّة أخرى أين الشر في الصهيونية ؟

|| موقفها التوليتاري المؤدي إلى حالة حصرية لم تعرفها الحركات القومية .

| وأين يوجد الفلسطينيون في هذا كله ؟

|| الفلسطينيون غير يهود يوجدون في أرض إسرائيل، لذلك فهم أعداء، وعلى

أقل تقدير مصدر شر مؤكد .

| هناك، إذن، صلة بين الجوانب السلبية في الديانة اليهودية والحركة الصهيونية،

وقد حاولت البرهنة على ذلك في كتابك عن الديانة اليهودية .

|| بالتأكيد [حماسة مفاجئة وصوت مرتفع] بالتأكيد، بالتأكيد . الصهيونية

علمنة للديانة اليهودية . كل الجوانب السلبية في الديانة تتجسد في الصهاينة

أنفسهم . أنظر إلى ما يقولونه: شراء الأرض بواسطة الصندوق القومي اليهودي

يسمونه «خلاص» لماذا «خلاص» ؟ هل توجد حركة قومية في العالم تسمى شراء

الأرض «خلاصا» ؟ الخلاص مسألة تخص الروح، هذا تعبير ديني . ثمة شيء آخر

يسهل رؤيته في الصهيونية وهو متصل بالديانة أيضاً . الحركات القومية تهتم

بدمج الغرباء، لكنها لا تهتم بديانتهم الخاصة . فإذا قلنا أن عربياً ولد في فرنسا،

أو حتى ذهب إليها ونال أفضل تعليم هناك، وتكلم الفرنسية بطلاقة، سيتم قبوله

من جانب غالبية الفرنسيين كفرنسي - هناك أقلية لن تقبل ذلك، لكنها أقلية - أما

بالنسبة للصهاينة فلن يحدث ذلك حتى يعتنق الديانة اليهودية، ولن يسمح له

الصندوق القومي بالعيش في أرض يهودية قبل ذلك.

لكل هذه الأسباب، تستطيع على الفور ملاحظة الفرق بين الصهيونية وتسعة وتسعين بالمائة من الحركات القومية . ولذلك، أقول بأن الصهيونية ليست حركة قومية، بل هي حركة توليتارية، والمعايير التي تنطبق على معظم أو كل الحركات القومية في العالم لا تنطبق عليها . يمكن العثور على هذا الأمر في مجمل السياسة الصهيونية خلال العقود السبعة الماضية.

| إذا قلنا إن الصهيونية هي اليهودية معلنة، يمكننا التقدم خطوة إضافية إلى الأمام . تكلمنا من قبل عن ليبوفيتش [ يشعياهو ليبوفيتش، المفكر الصهيوني المتدين، أحد أشد نقاد السياسة الإسرائيلية، وأحد أبرز دعاة فصل الدين عن الدولة في إسرائيل ] وقد دعا إلى فصل الدين عن الدولة، وأرى تناقضاً هنا في موقف صهيوني متدين يريد دولة علمانية.

|| كانت لليبوفيتش أهداف أخرى . أعرفه بصفة شخصية، كان يرى أن الديانة اليهودية في حالة شديدة من الضعف، لذلك تحتاج إلى فترة من الوقت حتى تسترد قوتها وعافيتها، ثم تستولي على الدولة من خلال حرب أهلية.

| هل ستصبح إسرائيل في يوم من الأيام دولة طبيعية ؟

|| طالما بقيت صهيونية لن تصبح دولة طبيعية . هذه الخلاصة مستمدة من طبيعة الصهيونية . لن تتمكن دولة أن تكون طبيعية إذا افترضت بأن بقية العالم تكرهها، ليس جيرانها فقط، بل العالم، البشرية كلها . بالمناسبة أذكر ما رويته لي عن خوف [ أ . ب ] يهوشوا من وجود رجال أعمال عرب يمشون في تل أبيب . أنت تعرف بأنه يخشى غير اليهود، يخشى أن يمشي أشخاص غير يهود في تل أبيب، يريد العيش في حالة انفصال عن البشرية كلها . وهذا وضع لا يوحى بالاستقرار بطبيعة الحال.

| الخلاصة، إذا أردنا تطبيع هذا الوضع، يمكن التفكير في خيارين، يتمثل أحدهما في تطبيع تدريجي وبطيء جداً للمجتمع الإسرائيلي، على أمل أن يشعر الإسرائيليون ذات يوم بحقيقة وضعهم في الشرق الأوسط، أما الخيار الثاني فيمكن تعريفه بخيار العلاج بالصدمة . كيف تنظر إلى هذين الخيارين، هل ثمة خيار ثالث ؟

|| لا، لا يوجد خيار ثالث . ولكن لا بأس ربما كان ثمة خيار ثالث، لكنه يدخل ضمن فئة خيار العلاج بالصدمة . قلت بأنني أرى احتمال حرب أهلية بين المتدينين

والعلمانيين في إسرائيل، ليس في المستقبل البعيد، من المؤكد أن ذلك لن يحدث غداً، لكنه ليس بالمستقبل البعيد، قد يحتاج بعض السنوات.

يمكننا التفكير في سيناريو لما سيجري : إذا افترضنا أن رئيساً للوزراء تعرّض للاغتيال على يد متطرفين دينيين فما الذي سيحدث، كيف ستكون ردة الفعل لدى العلمانيين ؟ لن تكون ردة فعل عقلانية، لن تكون كما حدث من قبل [يقصد اغتيال اسحق رابين] بل ستكون أقوى بعشرين مرّة . أشياء كهذه قد تحدث . حتى نتناهاهو تعرّض لتهديدات بالاغتيال بسبب اتفاق الخليل.

والآن، إذا تحدثنا عن العلاج بالصدمة، فذلك خيار يعتمد على الوضع الدولي. لقد ألحقت صدمتين بالمجتمع الإسرائيلي : حرب عام ١٩٧٣، وحرب لبنان - لا أقصد غزو لبنان - حرب العصابات ضد الجيش الإسرائيلي في لبنان ما بين ١٩٨٣ و١٩٨٥ . كانت تلك الصدمات ممكنة بسبب الاستقطاب الدولي في حينها . فالاتحاد السوفياتي دعم مصر وسوريا في حرب عام ١٩٧٣، وفي الحالة الثانية منع، على الأقل، زهاب إسرائيل إلى أبعد مما ينبغي عام ١٩٨٢، ومن ممارسة ردود فعل قوية ضد سوريا أو مقاتلي حرب العصابات ما بين ١٩٨٣ - ١٩٨٥ .

نحن الآن في العصر الأميركي، أقول باحتمال وقوع الصدمة في العصر الأميركي، إذا طرأ تغير واسع المدى على الرأي العام الأميركي والكونغرس ضد إسرائيل، مما يخلق وضعاً يسمح بالصدمة . وإذا لم يحدث ذلك فإن أميركا، التي تحكم العالم، لن تسمح بالصدمة.

| إلى جانب الحديث عن احتمال الحرب الأهلية بين المتدينين والعلمانيين ربما نستطيع الحديث عن الصراع بين اليهود الشرقيين والغربيين، فما هي احتمالات الصراع الثقافي بين الجانبين ؟

|| أشرت في كتابي [ الأصولية اليهودية ] إلى الفرق بين الجماعتين . ولا أرى أنها مشكلة السنوات العشرين أو الثلاثين الأخيرة، بل مشكلة السنوات الألف الأخيرة . ففي تحليلنا للوضع نرى التوتر، في الواقع، بين اليهود الشرقيين المحافظين على ديانتهم، بين الأصوليين الذين يعبر عنهم حزب شاس، وبين بقية المجتمع الاشكنازي العلماني والمتدين على حد سواء.

يتبنى اليهود الشرقيون من غير مؤيدي شاس الثقافة الإسرائيلية، أو هم في طور تبنيها . وأعنى بها الثقافة التي نشأت في السنوات السبعين الأخيرة، وحتى قبل قيام إنشاء إسرائيل . وهي شائعة بين الأجيال الشابة بشكل خاص . أما من

يعارضونها فهم من المتدينين، وهم يعارضونها لأنهم يعارضون الثقافة العلمانية،  
مهما كان مصدرها.

لذلك، لا أعتقد أن المشكلة السفاردية - الاشكنازية خطيرة . فهي خطيرة كجزء من  
المشاكل الدينية فقط . ويمكن البرهنة على ذلك بالنظر إلى تنامي شاس مقابل  
تراجع الجماعات العلمانية السفاردية، التي تحللت واختفت، الفهود السود الذين  
ظهروا في السبعينات، مثلاً، فشلوا، وسيكون الفشل نصيبهم مرة أخرى.

| هل ينحصر الفرق في الديانة فقط ؟

|| يمكن التدليل على هذا الأمر : الأصوليون الاشكناز يمارسون التمييز في  
مدارسهم ضد أطفال السفارديم، لأن الفرق كبير بين المتدينين السفارديم والاشكناز،  
بينما يزداد الاختلاط أكثر فأكثر بين العلمانيين، الذين اندمجوا إلى حد بعيد.  
| تستطيع تصويبي إذا أردت، أليست غوش إيمونيم أعلى مراحل الصهيونية؟  
|| صحيح.

| أعتقد أن حركة العمل أصبحت مفلسة، ولم تعد تستطيع ممارسة التعبئة  
الشعبية، كانت تستطيع القيام بذلك في العقود الأولى بعد قيام الدولة، وقد قامت  
به في زمن اليبشوف، أيضاً.

|| حزب العمل مفلس، ورغم ذلك فالمكونات الاجتماعية ما زالت كما هي. لا يوجد  
إطار يستطيع احتواءها . الجوانب الاجتماعية لم تفلس بعد، وعدم وجود إطار  
يدفعها للتعبير عن نفسها بأشكال مختلفة.

| ذلك ما يجعل المعسكر الديني، أو غوش إيمونيم أعلى مراحل الصهيونية.  
|| صحيح . هناك تحولات حلتها في كتابي الأخير . والدليل أن أولئك الناس  
يقيمون في مناطق معزولة خدمة لأهدافهم تجاه الفلسطينيين . أنت مصيب تماماً،  
فلا أحد [من الإسرائيليين] يقبل الذهاب للاستيطان في نتساريم المحاطة بمئات  
الآلاف من السكان الفلسطينيين . هناك ١٢٠ عائلة من غوش إيمونيم . لن يفعل  
ذلك أحد سواهم، وذلك ما تراه في مستوطنات الضفة الغربية أيضاً، في مستوطني  
الخليل، أو حتى مستوطنة بساغوت [المطلة على رام الله].

| ما هي طبيعة المجتمع الإسرائيلي، إذن، وما هي قواه المحركة ؟

|| في الوقت الحالي، الصهيونية.

| في كل المجتمعات ثمة عناصر توحيدية، ما الذي يجمع هؤلاء، وما هي الهوية  
الإسرائيلية ؟



|| لا توجد هوية إسرائيلية . توجد هوية إسرائيلية - يهودية . حوالي ٢٠ بالمائة من مواطني إسرائيل فلسطينيون، وإذا تذكرت المبدأ الأول في الصهيونية القائل بأن غير اليهود يكرهون اليهود، ستدرك بأنهم لن يسمحوا بدمج الفلسطيني في هويتهم. بالمناسبة، بعد كل هذه السنوات، لا يوجد عضو فلسطيني واحد في الكيبوتسات، حتى تلك التي تعتبر نفسها يسارية.

لذلك، لا توجد هوية إسرائيلية، هناك هوية يهودية، هوية يهودية - إسرائيلية خاصة بسبب اللغة العبرية، وخصوصية الثقافة، أما القوة المحركة فما زالت الصهيونية . وبسبب التأثير المتزايد للديانة توجد داخل هذه الهوية فجوة تزداد اتساعاً بين ما يدعى حسب التعبيرات الإسرائيلية : إسرائيل الفئة أ، وهي جماعة يسارية غير متدينة، وضد النفوذ الديني على الأقل، وإسرائيل ب وهي جماعة تعرّف نفسها أكثر فأكثر بتعبيرات دينية . وهذا وضع لا يوحي بالاستقرار في المستقبل . ورغم ذلك، يجب ألا تساورك أية أوهام في الوقت الحاضر، فما زالت الصهيونية في سدة الحكم.

| لكنها ليست صهيونية هرتسل.

|| هرتسل ليس من الآباء المؤسسين للصهيونية . كتاباته لا تدرس في المدارس، صورته على الحائط لا أكثر، لكن الآباء المؤسسين بن غوريون ووايزمان، والذين جاءوا من أوروبا الشرقية، وجابوتنسكي وحتى آحاد هاغام إذا شئت . كتابات هؤلاء تدرس في المدارس، وتمارس نفوذها على الناس . هرتسل، مثلاً، كان مع فصل الدين عن الدولة، وكان الآخرون ضد هذا الأمر.

| أراد أن تكون اللغة الألمانية اللغة الرسمية للدولة.

|| نعم، هرتسل ليس من الآباء المؤسسين في الواقع، بل شخصية اعتبارية.

| هل نستطيع الحديث عن الهسكلاه، وعن الصهيونية كهجوم مضاد ؟

|| نبدأ القول في البداية بأن حركة التنوير اليهودية، الهسكلاه .

| أرغب في معرفة تعريفك للهسكلاه.

|| لا أريد الحديث بعبارات عامة من نوع التنوير ... أعني مسألة بسيطة : كان ما اعتقده أجدادنا أو قاموا به خطأ، كلياً أو جزئياً . لدينا ككل الشعوب تقاليد ومعتقدات وعادات. إلى جانب ذلك، لا يرجع اضطهاد اليهود إلى كراهية عدم اليهود لهم على مر الأزمان، وتفكيرهم في كيفية اضطهادهم، بل يرجع إلى أسباب يهودية داخلية، إلى جهلنا ورفضنا للعمل وتعلّم اللغات، وأشياء أخرى كثيرة، خاصة

كراهيتنا لغير اليهود كلهم من حيث المبدأ . ذلك ما اهتمت به تلك الحركة المتأثرة بالتنوير الأوروبي في القرن الثامن عشر، والتي ظهرت في ألمانيا ثم انتشرت في الشرق . بالمناسبة، لا أعني أوروبا الشرقية فقط، كما يقول بعض اليهود الشرقيين، بل انتشرت في بلدان ذات مستوى معين من الازدهار الاقتصادي، في مصر واليونان على سبيل المثال، ولم تنتشر في المغرب، ليس لأن اليهود المغاربة يختلفون عن غيرهم، ولكن لأنهم كانوا في فقر مدقع . كان اليهود المصريون والسوريون أغنياء . عاشت الهاسكلاه عام قبل ظهور الصهيونية . وقد كانت الصهيونية نتاج اتجاهات عرفت أوروبا وبقية العالم عموماً مع نهايات القرن التاسع عشر : الحركات القومية الرومانسية المعادية للعقلانية . ظهرت الحركات الرومانسية والفاشية في نهايات القرن وركزت على أولوية الكراهية: نحن نكره . الصهيونية تكره أكثر من غيرها بطبيعة الحال، لكن الحركات الأخرى اعتمدت مبدأ الكراهية . من هنا نشأت الصهيونية، وبهذا المعنى يمكن القول بأن هرتسل كان مؤسس الصهيونية، فكتابه الأول افترض وجود كراهية لا تزول ولا تدول من جانب غير اليهود كلهم لليهود .

| هل كانت الصهيونية حتمية ؟

|| ظهور حركة كهذه كان مسألة حتمية، لكن نجاحها لم يكن حتمياً، بل اعتمد على عاملين : مهارة القادة الصهاينة بعد هرتسل، والوضع في الشرق الأوسط . لم يكن اندلاع الحرب العالمية الأولى في موعدها حتمياً . لو اندلعت قبل ذلك أو بعده بعشرين سنة، لتحولت الصهيونية إلى لا شيء . ولكن هذا ما حدث، كانت هناك حركة صهيونية، صغيرة الحجم، وذات قيادة ماهرة، واستجابت لتحوّلات الحرب العالمية الأولى .

| كانت حتمية، إذن .

|| الحركة حتمية، لكن غزو فلسطين اعتمد على ظروف، خاصة على الحرب العالمية الأولى، وحاجة البريطانيين لوجود جماعة تؤيدهم في فلسطين، إلى جانب حاجاتهم الاستراتيجية، ولو استمر الحكم العثماني في فلسطين، أو انتهى بطريقة سلمية أسفرت عن قيام دولة في فلسطين، كما حدث في أماكن أخرى، لما نجحت الصهيونية .

| فلنفكر في جانب آخر، هناك علاقة بين اليهود الإسرائيليين والدياسبورا، لكن تلك العلاقة تتطور بطرق متباينة . اليهود الأميركيون يتطورون بطريقة تختلف عن الإسرائيليين . وقد كتب أحد الإسرائيليين قبل فترة عن وجود ثلاثة شعوب

الصهيونية شر ولا إمكانية لتطبيع اسرائيل مع وجودها

يهودية في طور التكوين: شعب اليهود الإسرائيليين، والأميركيين، والأرثوذكس، وذكر أن الإسرائيلي في الواقع شخص غير يهودي يتكلم العبرية. || لا أوافق [ يضحك ] لا أوافق على تعريف غير اليهودي الناطق بالعبرية . أنا متأكد أن الكاتب متدين. | ثمة احتمال التطور المتباين.

|| نعم، نعم، ولكنه لم يقل ذلك . ينظر اليهود الإسرائيليون إلى اليهود الآخرين كغرباء، الأصوليون لا يفعلون ذلك، طبعاً . شاس والاشكناز الأرثوذكس يعتبرون اليهود يهود أينما كانوا . اليهودي الأميركي يُعامل في إسرائيل كغريب، يسمونه الأميركي، وما لم يعتنق عادات الإسرائيليين - وهذا صعب إذا كان قد تجاوز الثلاثين من العمر - يبقى غريباً. وعندما تهاجر جماعات كبيرة من اليهود الإسرائيليين، كما حدث في الثمانينات، لا يعيشون في أحياء اليهود الأميركيين، لا يحبونهم، فيسكنون في مناطق تخصهم، أو يسكنون بين أميركيين غير يهود . كثير من هذه الأمور ينجم عن التربية . هناك تربية مختلفة، وقيم مختلفة.

[أوقفنا جهاز التسجيل لتناول القهوة، فروى لي شاحك ما حدث له في الولايات المتحدة في مطلع الستينات، فالعمل اليدوي بالنسبة لليهود الأميركيين يعتبر نقيصة، لذلك ينظرون إلى التعليم العالي والتخصصات العالية كقيم عليا . وقد طلبت منه عائلة يهودية أميركية إقناع ابنها الذي يرفض الذهاب إلى الجامعة بخطأ موقفه . قال شاحك التقيت بالصبي على انفراد فقال لي بأنه يريد العمل ميكانيكي، ويريد فتح ورشته الخاصة، ولا يحب الدراسة. وعندما عدت إلى العائلة المنتظرة مع الحاخام حول مائدة العشاء، سألوني عن رأيي، فقلت بأنني أؤيد قراره بالعمل ميكانيكي - ينخرط شاحك في نوبة متواصلة من الضحك كأنه يستعيد سعادته في لحظة المواجهة - ولو كانت نظرات العيون تقتل، لما كنت أمامك الآن. نعود إلى التسجيل].

التبرعات المالية التي يدفعها اليهود الأميركيون تتناقص، وقد أصبحت قليلة للغاية، معظم المال يأتي من الحكومة الأميركية. | يمكن القول أن الانعقاد هدد الحياة اليهودية التقليدية، الدولة الإسرائيلية، أيضاً، عامل جديد من عوامل تحديد تلك الحياة. || لقد تحطمت تلك الوحدة بصورة كاملة . الصهيونية عدوة للهسكلاه، وسبب

استمراريتها بطريقة ما من ناحية أخرى، فقد أخذت منها بعض العناصر، واستخدمت بعض العناصر ضدها.

| تشهد اليهودية في الوقت الحالي حالة تشظٍّ. وأعتقد أن اليهودية الأرثوذكسية ستواصل العيش مهما حدث، بالدولة وبدونها.

|| ستواصل الجماعات الدينية العيش في الدولة، المسألة : هل ستحقق النفوذ أم لا؟.

| ولكن ثمة تناقض. فلنفكر في اليهودية الأرثوذكسية، كلما تطرفت أصبحت ضد الدولة. كيف تفسر هذا الأمر، فهم يرفضون الخدمة في الجيش، ويحصلون على كثير من المنافع والامتيازات.

|| هذا يصف خمسة بالمائة فقط من الأرثوذكس الاشكناز. ثمة فروق بين شاس والاشكناز بالتأكيد. أعضاء شاس يخدمون في الجيش، وكذلك أعضاء غوش إيمونيم، بل هم يتجهون إلى الجيش بصفة خاصة. لذلك، يجب التمييز بين مختلف جماعات المتدينين، من لا يخدمون في الجيش هم أصحاب المعاطف والقبعات السوداء، وهم أقلية. غالبية اليهود المتدينين يخدمون في الجيش، وبعضهم من أفضل الجنود. في المجتمع الإسرائيلي اتجاهات عميقة، يمكن رؤيتها بوضوح في الانتخابات، ليس في النتائج العامة وحسب، ولكن في نتائج المناطق أيضاً. وإذا حللنا الاتجاهات العامة في المجتمع اليهودي - الإسرائيلي سنجد حالة تراجع يشهدها معسكر أوسلو.

نعم أوسلو. كانت اتفاقية أوسلو ممكنة لأن رابين حصل في انتخابات عام ١٩٩٢ على تحالف يضم ٦١ مقعداً في الكنيست، أغلبية مطلقة - تكوّن التحالف من العمل وميرتس والأحزاب العربية، ثم لحق بهم شاس. وإذا نظرنا إلى نتائج ١٩٩٩ سنجد أن تلك الأحزاب حصلت على ٤٦ مقعداً، هذا يعني أن فوز إيهود باراك يرجع إلى أسباب شخصية في التصويت المستقل لانتخاب رئيس الوزراء، بسبب غباء نتنياهو الشديد، وصفاته الشخصية الأخرى.

الكتلة التي يمكن تعريفها كيمين معتدل تزداد اتساعاً في المجتمع الإسرائيلي. ويبدو أن الاتجاه المعادي للصهيونية ما زال محصوراً في أقلية ضئيلة تحتاج إلى سنوات طويلة حتى تنضج. أقول اليمين المعتدل لأنني أعتبر الليكود والعمل شيئاً واحداً، أما عبارة اليمين المتطرف فتعني غوش إيمونيم وجماعة رحبعام زئيفي، وبينني بيغن وحنان بورات. وهؤلاء الأشخاص تراجعوا. كان لديهم عام ١٩٩٢

نسبة أكبر مما حققوا عام ١٩٩٩ .

| ماذا يعني ذلك ؟

|| يعني إمكانية الحصول على هدنة مستقرة . فأنت تعرف بأن السلام الحقيقي لن يحدث، إلا إذا تزعزت الصهيونية، أو كفت عن حكم إسرائيل، حكم المجتمع اليهودي - الإسرائيلي . يمكنكم تحقيق هدنة مع باراك، بشروطه طبعاً، ولا تستطيعون تحقيق ذلك مع غوش إيمونيم . ثمة اتجاه إلى مركز اليمين في الوسط، أما اليمين المتطرف فيعيش حالة تراجع . لماذا ؟ العصر الأميركي هو السبب . لم يدركوا في عام ١٩٩٢ قوة الولايات المتحدة، وكان انهيار الاتحاد السوفياتي حديث العهد، لكن اليهود الإسرائيليين يعرفون في الوقت الحاضر، وبعد كوسوفو بشكل خاص، بأن أميركا تحكم العالم . وقد انتخبوا باراك للحفاظ على علاقات جيدة مع الأميركيين .

يمكن فهم سياسة باراك، وشامير، شامير الذي ذهب إلى مدريد، يمكن فهم سياسة رؤساء الوزارات كلهم، ما عدا أشخاص على قدر كبير من الحماسة مثل نتنياهو، فقد أرادوا دائماً علاقات جيدة مع الولايات المتحدة .

| أنت معارض لاتفاقيات أوسلو، وقد عبّرت عن هذا الموقف في مناسبات مختلفة . ما أريد فهمه، لماذا شعر الإسرائيليون بضرورة التفاوض مع الفلسطينيين ؟

|| لأن بقاء الاحتلال بالطريقة السابقة يستنزف الكثير من المصادر البشرية . ولسان حالهم [الصهاينة] يقول : نحتاج جنودنا في حرب كبيرة ضد دولة عربية، أو تحالف دول عربية، وهذا احتمال دائم من منظور الشيزوفرينيا اليهودية الإسرائيلية، وفي الوقت نفسه يريدون السيطرة على الفلسطينيين بالحد الأدنى من الجهد والقوة البشرية اليهودية .

أما المبدأ الثاني فيتمثل في كيفية السيطرة على الفلسطينيين دون التواجد في كل مدينة ومخيم لاجئين وقرية . فقد حاولوا التواجد هناك خلال فترة الانتفاضة . الإجابة قدمها اسحق رابين نفسه حتى قبل انتخابات عام ١٩٩٢ بصورة واضحة وساطعة، قال علينا الانتقال من السيطرة من الداخل، إلى السيطرة من الخارج، أي التمركز على رؤوس التلال، وفي مواقع استراتيجية أخرى، حول المدن الفلسطينية الكبرى، مع مواصلة السيطرة على الطرق الاستراتيجية . هذا معنى السيطرة من الخارج حسب مفهوم رابين .

أنظر حولك، أنت قادم من رام الله، ألا تسيطر مستوطنة بساغوت على رام الله؟ أنظر في كل الاتجاهات . أنا لا أتكلم عن المستوطنات فقط، بل عن المواقع العسكرية قرب المستوطنات، والطرق التي تعبرها الدوريات العسكرية بين المستوطنات. لذلك، أدركت هذا الأمر، أدركته من كلمات رابين، ولا أبوح بأسرار في هذا الصدد، ربما هي أسرار مفضوحة، قالها رابين في أحاديثه الانتخابية . وهذا ما ركز عليه، وما يركز عليه باراك، الذي قال قبل أيام بأن السيطرة من الخارج تقوم على مبدأ الفصل الديمغرافي، أي نظام الأبارتهيد كما أرى.

قال رابين في معرض تبريره لاتفاقيات أوسلو، لم يحضر والداي إلى فلسطين للاهتمام بشؤون الفلسطينيين وحل مشاكلهم، فليحل الفلسطينيون مشاكلهم بأنفسهم، طالما كنا نواصل السيطرة عليهم . وهذا ما حدث بالضبط. | سيؤدي هذا الوضع إلى مزيد من العنف.

|| هناك ضرورة للتعامل مع المستقبل بكثير من الحذر . فهناك العديد من العوامل التي يجدر بنا تقييمها، وهي عوامل لا تعتمد على الفلسطينيين أو اليهود بمفردهم - أميركا، مثلاً، والدول الأخرى في الشرق الأوسط . يمكن القول بصورة عامة بأن الوضع غير مستقر، وبأن الوضع سينفجر . هل سيأتي الانفجار بعد سنتين أو خمس سنوات لا أعرف . انطباعي الشخصي بأنه مستقر من خمسة إلى عشرة أعوام لأسباب مختلفة . بالقدر نفسه، يجب التعامل مع شعارات اليسار المنتظر بقدر كبير من الحذر . فمن يستنتج من القول بأن الوضع غير مستقر، أن الثورة ستحدث غداً، لا يفهم الواقع.

| أفكر بماذا نسمي هذا النوع من السلام. | هذا ليس سلاماً، بل أبارتهيد، أرفض بشدة تسميته بالسلام. | تحدثنا في اللقاء الماضي عن يهوشوا كيناز، الذي قرأت بعض أعماله، والتقيت به من قبل، وقد أدهشني إعجابك به، فأنت تعتبره أفضل كتّاب العبرية في إسرائيل . وما يعني في هذا الشأن مدى ما يعكسه الأدب العبري من واقع المجتمع الإسرائيلي.

|| نستطيع الحديث عن نوعين من الأدب يعكسان صورة المجتمع بشكل جيد، فهناك، من ناحية، كتّاب من عيار ثقيل، يهوشوا كيناز بالتأكيد، وبعض الكتّاب الصهاينة، حتى يهوشوا تختلف أعماله الأدبية عن الكثير من مواقف السياسية، هؤلاء يعبرون في كتابتهم عن أشياء رغم إرادتهم . ومن ناحية أخرى، هناك الأدب

الشعبي، لدينا قصص بوليسية، حيث المفتش والمجرم وبقية الشخصيات كلهم من اليهود، وعادة ما تقع الجريمة في الجامعة، في الكيبوتس، ومختلف أماكن الحياة اليومية.

يعكس النوعان الواقع بصورة جيدة . ويجدر القول أن النوع الثاني يعكسه بصورة أفضل . لو جاء شخص من المريخ، وطلب مني معرفة المجتمع اليهودي الإسرائيلي بواسطة الأدب، لنصحته بقراءة القصص البوليسية، ونصيحتي الثانية هي قراءة كلمات الأغاني الشعبية.

| ما زلنا في النسق الأدبي .هناك ظاهرة جديدة، تطلقون عليها ظاهرة المؤرخين الجدد، يقول البعض بأنهم يحاولون تجميل الوجه القبيح للصهيونية، ويقول البعض الآخر بأنهم يمثلون ظاهرة طبيعية.

|| يمثلون الحالتين . فهؤلاء الأشخاص ليسوا حالة موحدة، أو جمعية .بيني موريس، مثلاً، يقول بأنه صهيوني ويريد تجميل الوجه القبيح للصهيونية، بينما إيلان بابي معاد للصهيونية، وعضو في الحزب الشيوعي .لذلك، لكل شخص رأيه. | ولماذا ظهروا بعد أربعين سنة من قيام الدولة ؟

|| لأن الطبيعة التوليتارية لهذا المجتمع كانت شديدة الحزم، وحجم الضغط الاجتماعي كان كبيراً، أجد صعوبة في وصف ما كان عليه .سأروي لك ما حدث لي، فقد حصلت في عام ١٩٦١ على منحة دراسية لما بعد الدكتوراه لمدة عامين في الولايات المتحدة، بعد الحصول على شهادة الدكتوراه في الكيمياء العضوية من الجامعة العبرية . تم ترتيب كل شئ بواسطة رئيس القسم في الجامعة الذي كان صديقاً حميماً لبن غوريون .ورغم ذلك، كان على الذهاب لمقابلة موظف في وزارة الداخلية وتفسير مبررات خروجي من إسرائيل لمدة عامين .كان هذا هو القانون، يحتاج كل مغادر لتقديم مبررات .كانت مسألة شكلية، ولكن يجب القول أن إسرائيل كانت مجتمعاً شديد المركزية في البداية، كانت مجتمعاً توليتارياً، يتمتع فيه الناس بالقليل من الحقوق المدنية، كما كان الضغط الاجتماعي كبير الحجم لإرغام الفرد على اعتناق أفكار الجماعة .ولكن، مع تأثير الغرب، حدث تحوّل في المجتمع اليهودي - الإسرائيلي في اتجاه الليبرالية، مع الحفاظ على الصهيونية.

لو قلت قبل أربعين عاماً بأنني معاد للصهيونية لنبدوني من المجتمع، ولن يجرؤ أحد على الحديث معي، أما في الوقت الحاضر، فالجميع يعرف بأنني معاد للصهيونية، ويتكلمون معي.

| نصل الآن إلى نقطة مفصلية، ما هي التحوّلات الفكرية والثقافية التي دفعت بك إلى موقع المعارضة، إلى موقع الأقلية المعارضة ؟

|| مارس مؤثران دوراً أساسياً في تحوّلِي، وقد وقعا قبل حرب ١٩٦٧ . مهنتي الأساسية بالتدريب والعمل هي الكيمياء العضوية، وقد كنت مهتماً بمهنتي، ثم مررت بمرحلتين : مرحلة تمهيدية عندما تخلّيت عن الديانة اليهودية في سن الثامنة عشرة، وسرعان ما أصبحت معارضاً للديانة اليهودية، فقد درستها جيداً، ومع مغادرتي لها كنت أعرف معناها [ عاش شاحاك جزءاً من طفولته وصباه في كيبوتس لليهود المتدينين ] وهي الجوانب التي كتبت عنها في كتابي “ الديانة اليهودية ” ، ومن المعارضة انتقلت إلى العدا، ورغم ذلك حافظت على صهيونيتي . حدث هذا في عام ١٩٥١ . وقد شعرت، خطأ، بأن صهيونية بن غوريون تقوم على مكونات طبيعية، واقتنعت حتى بكراهية غير اليهود لليهود .

في عام ١٩٥٦ سمعت بن غوريون عن طريق الإذاعة يقول بأننا نخوض هذه الحرب لأننا نريد إعادة مملكة داود وسليمان . ولكن إذا أراد بناء مملكة داود وسليمان فهذه مسألة دينية وليست سياسية، وبالتالي ليست طبيعية . كما قال بن غوريون بأن سيناء ليست جزءاً من مصر، لم يستخدم الذريعة الأمنية، بل استخدم ذريعة الحق التاريخي المستمد من الدين .

شعرت، آنذاك، بخطأ ما في هذا الموقف . وهذا ما حفزني على التفكير . لعبت مجزرة كفر قاسم دوراً فاعلاً في هذا الصدد، لأنني كنت مطلعاً على محاولات التغطية على المجزرة - كان عملي السياسي الأوّل الذهاب إلى مركز الحزب الشيوعي في تل أبيب، للحصول على منشورات وتوزيعها .

جاءت المرحلة التالية بعد ذهابي إلى الولايات المتحدة، في عام ١٩٦١، وسرعان ما اكتشفت أن غير اليهود لا يكرهون اليهود، ذلك ما تعلمته في المدرسة - لا يدرّسون هذه الأشياء في الوقت الحاضر - ولكنني تلقيت تعليماً صهيونياً حقيقياً، وتعلّمت بأن اليهود الذين يعيشون خارج المجتمع اليهودي هم أشخاص غير أسوياء . وقد اكتشفت بعد أشهر في الولايات المتحدة بأن المجتمع يتحرك بصورة طبيعية دون الخضوع لهيمنة الدين، وبأن الناس يمكن أن يقيموا دولة أفضل من إسرائيل، استناداً إلى فصل الدين عن الدولة .

مع عودتي إلى إسرائيل في عام ١٩٦٣، أصبحت معادياً للصهيونية، قرأت أشياء كثيرة بطبيعة الحال . لذلك، أعتقد أن نقطة البداية كانت مغادرة الديانة . ليست



المغادرة وحسب، بل الاعتقاد بأن موقف اليهود من غير اليهود شرير وفساد. هناك أشخاص يغادرون الديانة لأنهم يريدون الأشياء الجيدة في الحياة، الأشياء التي تحرمهم الديانة من التمتع بها . وهذا ما يفعله أغلب الناس . أما الأقلية فهي ترى الأشياء السلبية، وتغادر لأسباب أخلاقية، وأنا انتمي إلى النوع الثاني. | هذا يعني أن اليهود إذا أصبحوا أكثر تديناً سيصبح من الصعب التفاهم معهم

|| طبعاً، طبعاً، ليس هذا فقط، أكرر ما كتبتة في «أسرار مفضوحة»: إذا استطاع أشخاص من نوع أنصار غوش إيمونيم تحقيق السيطرة في إسرائيل، ستستخدم إسرائيل أسلحتها النووية ضد العالم العربي، ولهذا السبب بالذات أنشط في الحملة ضد الأسلحة النووية في إسرائيل. لا أشعر في الوقت الحاضر بالخوف من استخدام القادة العلمانيين للأسلحة النووية، لأنهم يخافون من الولايات المتحدة، أما بالنسبة للمتدينين فهم يتقون بالله فقط، لذلك يمكنهم تدمير العالم.

| تكلمنا عن الدولة العلمانية الديمقراطية في فلسطين، وقلت لك بأنني أتفق معك حول عدالة هذا الحل، ورغم ذلك أود معرفة حدود هذا المفهوم بالنسبة لك كشخص، فهذا المفهوم لا يستهدف إلغاء الخصوصيات الثقافية أو الدينية، بل تحويل المساواة في المواطنة والحقوق إلى مصدر لهوية الجماعة.

|| أريد التصريح بموقف شخصي، أنا اعتبر نفسي يهودياً، وأنا شديد التعلق بما اعتبره ثقافة يهودية، وباللغة العبرية التي تم التعبير من خلالها عن معظم هذه الثقافة، وحتى ما كتب في لغات أخرى فقد وجد طريقه إلى الترجمة إلى العبرية في وقت سريع . فقد كتب ابن ميمون بعض كتبه بالعربية، وأنا قرأتها بالعبرية، لأنها ترجمت إلى العبرية في حياة صاحبها.

أما هدفي فيتمثل في تحويل اليهودية إلى وجهتي الخاصة، تحويل اليهودية لا يعني إلقاء كل تلك الثقافة في سلة المهملات، كما يحلو لبعض اليساريين القول. هذا يعني بأنني أريد حتى ماضي اليهودية الذي اعتبره شريراً، وأنت تعرف ما كتبت بهذا الشأن، أن يكون موضوعاً للدراسة، كما يفعل الناس في بلدان أخرى، يمكن القول بأن هذا الشر يخصني، وبما أن موضوع حديثي الديانة اليهودية، فإنني لا أذكر الأشياء التي تعجبني أو أحبها كثيراً.

ثمة جانب كبير مما كتب بالعبرية منذ الأزمنة التوراتية وحتى الوقت الحاضر لا

يعجبني وحسب، ولكنني أحبه أيضاً، وأشعر بالتعلق به، كما يشعر أي مثقف عربي بالتعلق بالأدب المكتوب بالعربية، سواء كان ذلك الأدب من زمن الجاهلية، أو كان لا يحظى بالقبول من ناحية أيديولوجية. هذا يعني بأنني سأواصل العيش كيهودي متعلق بثقافته وماضيه بطريقة نقدية في دولة ديمقراطية علمانية أيضاً. هذا يعني بأنني لن أصبح عربياً، أريد ترتيباً معيناً، وأعتقد أن هذا الترتيب ممكن كما حدث في دول أخرى، حيث العدالة والمساواة الكاملة، وحيث أبقى يهودياً متعلقاً بثقافته، وحيث يمكن لليهود آخرين تعليم ثقافتهم لأولادهم، كما يفعل الناس في دول ديمقراطية أخرى. لذلك، أعتقد أن على الفلسطينيين فهم موقفي.

| أفهم هذا الموقف جيداً، ويمكن القول أن هذا الإعجاب بالثقافة اليهودية والإحساس بالاستمرارية مع الهسكله وعصر التنوير والأدب اليهودي..

|| لا تقل الهسكله اليهودية والأدب اليهودي فقط، أنا أيضاً شديد التعلق بالأجزاء العميقة، الكونية في العهد القديم، وأقرأ كثيراً سفر أيوب، ليس البداية فقط، ولكن النقاش بين أيوب أصحابه أيضاً. وحتى الأجزاء التي تنطوي علي رسائل سيئة فهي جيدة من ناحية أدبية . لا أريد التكرير بأنني استنكر فتوحات الملك داود، لكن قصة الملك داود ومشاكله العائلية قصة أدبية طريفة . بالطريقة نفسها أنا متعلق بالشعر العبري المكتوب قبل ثلاثة آلاف عام سواء كان يحمل رسائل إيجابية أو سلبية.

| فهمت ما تريد قوله، لكن ذلك لا يعني أن تعيش في حصرية يهودية.  
|| طبعاً، طبعاً [ بحماسة واضحة ] أنا ضد هذا الشيء تماماً، لكنني أريد التصريح بهذا الأمر الشخصي لأنني لا أذكره في كتاباتي، فهي مكتوبة لأغراض سياسية، ولكن مهما كانت أفكار الفلسطينيين، يجب ألا تكون لديهم أوهم بشأنني، أنا لا أريد أن اصبح عربياً.

| هذا يأخذني الآن إلى [ اسحق ] دويتشر، إلى تعريف " اليهودي اللايهودي " كيف يبدو لك الأمر ؟

|| لا بأس، أنا يهودي يهودي، أما فهو فذهب إلى بريطانيا، لم يكتب عن الشؤون اليهودية أبداً، ما عدا تلك المقالة.

| أهذا تعريفك " لليهودي اللايهودي " ماذا تعتقد ؟

|| أولاً، لكل شخص أن يكون ما يشاء، من حق اليهودي الاندماج إذا أراد .

| أنا أتكلم عن دويتشر..

|| أنا لا أشبهه، أنا أسنّاذ في الكيمياء العضوية، ولديّ مهنة مرغوبة في العالم، عندما أصبحت معادياً للصهيونية، وإذا سمحت لي القول بأنني كنت أسنّاذاً جيداً في زمني، كانت لديّ الكثير من عروض العمل، وكان بإمكانني البقاء هناك، في الولايات المتحدة، ولكنني اخترت القدوم إلى هنا لمواصلة عملي السياسي والثقافي، الذي لا يمكن القيام به من مكان آخر، حتى في اللغة الإنكليزية لم يكن ليتيسر لي نشر كتب كهذه، إلا لأنني أعيش هنا.

| هل نشرت تلك الكتب باللغة العبرية أولاً؟

|| لا، ولكنني أكتب المقالات والرسائل بالعبرية، وأنا نشط سياسياً كل الوقت.

| لا اعتقد أن ثمة مشكلة تحول دون نشرها بالعبرية.

|| لا توجد مشكلة في النشر من حيث المبدأ، ولكن توجد مشكلة التمويل . هذا يعني بذل الكثير الكثير من الجهد من جانبي، مع مزيد من التفاصيل والشروح، لكنني أصبحت في سن متقدمة، وربما أفعل ذلك . إذا نجح كتابي هذا [ الأصولية اليهودية ] سأتمكن من توظيف مساعد، طموحي الكبير أن ارتاح من كتابة الكتب بالإنكليزية، وأن أكتب كتاباً من خمسمائة صفحة باللغة العبرية.

| تعني بأن كل تلك الكتب نُشرت بالإنكليزية؟

|| نعم، وبالعبرية أكتب الرسائل والمقالات.

كانت حديقة الأميركيان كولوني في ذلك المساء المتأخر كبرج بابل، تعبق بذلك المزيج من الوجوه، واللغات، والأزياء . ولم أستطع المغادرة دون إلقاء نظرة سريعة على جدران المدينة القديمة : قريبة ونائية، مألوفة ومستعصية على الفهم، قبل أقل من ألف عام توجّ بالدوين نفسه ملكاً على المدينة، وحل عليه كما حل على عدد لا يحصى من الحالمين والفاثحين والمجانين والمؤمنين والأنبياء الكاذبين مساء كهذا المساء . كأنه المساء نفسه، يغيّر ولا يتغيّر.

ربما كان هذا هو المكان الوحيد في الكون، الذي يمكن العثور فيه على الصندوق الأسود للتجربة الإنسانية كلها . وأنا لا أعرف ماهية تلك التجربة، لكنني أعرف بأن أهلي كانوا وما زالوا أوّل أسمائها.